

المعجم المختص عند العرب القدامى
 قراءة في معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني
 د. الشاذلي سعدودي (sadoudi chadli)¹
 جامعة المدية

تاريخ النشر 2019/04/01	تاريخ القبول 2019/06/01	تاريخ الإرسال 2019/05/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

ملخص:

مهما يكن صنف المعجم - عاماً أو متخصصاً- لا بد أن يُبدأ في جمع مادته من مصادر معينة ومحددة، ثم ترتب المادة بكيفية معينة كذلك، ويُعد التعريف في المعجم أهم خصيصة تميزية بين معجم وآخر، إضافة إلى الأهداف المقصودة من كل معجم.

وقد عرف العرب القدامى هذا النوع من التأليف في البداية على شكل رسائل لغوية، وكانت تختص كل رسالة بموضوع واحد، ومنها كتب النوادر، كتب الغريب (غريب القرآن، وغريب الحديث).

ومن أشهر كتب شرح الألفاظ: "معجم مفردات ألفاظ القرآن" (للراغب الأصفهاني ت 403 هـ) الذي يُعد امتداداً لجهود سابقة، وربما عُدَّ حالة من النضج في المعجم المختص العربي، وذلك لأنه يتناول شرح ألفاظ لغوية في سياقاتها القرآنية، فهو ليس عاماً، بل يقتصر على الألفاظ القرآنية، فهذه إذاً مدونته، إضافة إلى أن مؤلفه بيّن منهجه، وأهدافه، والغرض من تأليفه والفئة الموجه إليها، مما يوحي بشيء من التصور العلمي لفكرة التخصص في المعجم العربي في تلك المرحلة.

كلمات مفتاحية: المعجم المختص، ألفاظ القرآن، مصادر المعجم، منهج المعجم، أسس المعجم المختص.

Specialized Lexicon Among the Ancient Arabs

A Reading of Al-Raghib Al-Isfahani's Dictionary of Qur'anic Vocabulary

Dr. Chadli Sadoudi / University of Medea

Abstract:

Regardless of the type of dictionary—general or specialized—its material must be gathered from specific and defined sources, and then arranged in a particular way. Definitions are the most important distinguishing feature between one dictionary and another, in addition to the intended purposes of each dictionary.

The ancient Arabs were familiar with this type of compilation initially in the form of linguistic treatises, each treatise focusing on a single topic. These included books of rare words and books on unusual terms (such as those related to Qur'anic vocabulary and Hadith). Among the most famous books explaining vocabulary is "Mu'jam Mufradat Alfadh al-Qur'an" (by al-Raghib al-Isfahani, d. 403 AH), which is considered an extension of previous efforts and perhaps a milestone in the development of specialized Arabic lexicography. This is because it explains linguistic terms within

their Qur'anic contexts; it is not general but rather limited to Qur'anic vocabulary. This, then, is its scope. Furthermore, its author clearly outlined his methodology, objectives, purpose, and target audience, suggesting a degree of scholarly understanding of the concept of specialization in Arabic lexicography at that time.

Keywords: specialized dictionary, Qur'anic vocabulary, dictionary sources, dictionary methodology, foundations of specialized lexicography.

مقدمة:

فضائل القرآن الكريم على الناس لا تنتهي، ومنها أنه استنهض همم المسلمين للكتابة والتدوين وخوض بحار العلوم. فقد كان القرآن الكريم الدافع الأساس لنشأة الدراسات العربية والإسلامية إضافة إلى دوافع أخرى كالدافع الاجتماعي، إلا أن الغاية دائما كانت فهم كتاب الله عز وجل وخدمته، ومن أوائل ما كُتب في ذلك كتب غريب القرآن وكتب معاني القرآن، التي تُعنى بشرح مفردات ألفاظ القرآن تسهيلا لفهمه واستيعابا لمعانيه.

ومهما يكن فإن العلوم تعجز عن استيفائه وتقصر العقول عن إحصائه والإحاطة به، قال تعالى: □ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** □ [سورة لقمان، الآية: 27].

تتناول هذه الدراسة "معجم مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني الذي يُعد امتدادًا لجهود معجمية سابقة، وربما عُدَّ حالة من النضج في المعجم المختص العربي قديما.

وتحاول هذه الدراسة التركيز على أهم الأركان والأسس التي يبني عليها المعجم المختص وما مدى وجودها وتوافرها في "معجم مفردات ألفاظ القرآن"؟ وذلك وفقاً للخطة الآتية:

1. الراغب الأصفهاني وكتابة "معجم مفردات ألفاظ القرآن"

1.1. ترجمة الراغب الأصفهاني

2.2. كتاب "معجم مفردات ألفاظ القرآن"

2. المعجمية المختصة

3. معجم مفردات ألفاظ القرآن وأسس المعجم المختص

1.3. أهمية معجم "مفردات ألفاظ القرآن" وقيمه

2.3. منهجه

3.3. شرح المفردات في المعجم

4.3. مصادره واستشهاداته

4. ملاحظات على المعجم

- خاتمة

1. الراغب الأصفهاني وكتابه "معجم مفردات ألفاظ القرآن"

1.1. ترجمة الراغب الأصفهاني:

ذكر محقق الكتاب (يوسف الشيخ محمد البقاعي) أنّ "الراغب الأصفهاني" لم يحظ بكثير ترجمة، ولم يكتب عنه أقطاب المؤرخين فضلاً عن بيان عبقريته في مجالات شتى، وبالرغم كذلك من مؤهلاته وعطاءاته العلمية الجمة لم يلق العناية اللازمة من الباحثين والدارسين.

ولعلّ ما كتبه عنه (الذهبي) في "سير أعلام النبلاء" فيه إحاطة بشخصية "الراغب الأصفهاني" وإن كان ما كتبه عنه قليلاً، يقول الذهبي: «الراغب العلامة الماهر الباهر أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، كان من أذكى المتكلمين، لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة، وكان إن شاء الله في هذا الوقت حياً، يسأل عنه، لعلّه في الألقاب لابن الغوطي»².

وقال عنه الفيروزآبادي: «له "التفسير الكبير" في عشرة أسفار غاية في التحقيق، وله "مفردات القرآن" لا نظير له في معناه، وله "الذريعة إلى أسرار الشريعة" و"محاضرات" و"المقامات"، وغيرها»³.

وفي العصر الحديث جاء "خير الدين الزركلي" فأ نصف الراغب في "أعلامه" يقول: «الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصفهاني)، المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، من كتبه: "محاضرات الأدباء"، و"الذريعة إلى مكارم الشريعة"، و"الأخلاق" ويسمى (أخلاق الراغب) و"جامع التفاسير" كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و"المفردات في غريب القرآن"، و"حلّ متشابهات القرآن"، و"تفصيل النشأتين" في الحكمة وعلم النفس، و"تحقيق البيان" في اللغة والحكمة، وكتاب في "الاعتقاد" و"أفانين البلاغة"، توفي سنة (502هـ، 1108م)»⁴.

2.1. كتاب "معجم مفردات ألفاظ القرآن"

ألّف الراغب الأصفهاني كتابه "معجم مفردات ألفاظ القرآن" نهاية القرن الخامس الهجري وبداية السادس، له تحقیقات منها تحقیق "نديم مرعشلي" و تحقیق "يوسف الشيخ محمد البقاعي"، نشرته دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت، ومجاله المعرفي غريب القرآن أو معاني القرآن.

يقع الكتاب في مجلد واحد من الحجم المتوسط وعدد صفحاته أربعمئة وواحد وثلاثون (431) صفحة في الطبعة التي حققها (الشيخ محمد البقاعي) والتي اعتمدناها في دراستنا هذه، أمّا تحقيق (مرعشلي) فإنّ حجم المجلد كبير و يقع في (728) صفحة، وهذا راجع إلى حجم الكتابة وطريقة الطبع. وأول ما نجده في الكتاب مقدمة المحقق، ثم عمل دار النشر في الكتاب، ثم مقدمة المؤلف، ثم مادة الكتاب مباشرة.

وربّت المادة العلمية في الكتاب على طريقة المعاجم، وليس فيه فصول ولا أبواب كما جرت العادة في الكتب القديمة، وليس هو تفسير يتناول سور القرآن سورة فسورة، وهذا ما جعلنا نعتمده معجماً. وأمّا كونه معجماً مختصاً فهذا الغرض من الدراسة كلها، وسيأتي بيانه إن شاء الله.

2. المعجمية المختصة

يعرّف عبد المجيد الحر المعجمات المتخصصة بأنّها: « المعجمات التي تبحث بعلم الهيئة، وعلم الحيوان وعلم النبات وما شابهها من العلوم المتخصصة برسوم الدقة العلمية واصطلاحاتها الخاصة في جنس من أجناس الوجود الإنساني »⁵. والمعجمية المختصة قوامها المصطلحات، وعليه فإنّ المعجم المختص له اهتمامات خاصة، « فهو يهتم بنوع خاص من اللغة، ومن أمثلتها معاجم المترادفات أو المتضادات أو الكلمات الأجنبية، أو معاجم التصريف الاشتقائي، أو معاجم مصطلحات العلوم أو الفنون »⁶.

وبناءً على ما تقدم فإنّ إنشاء المعاجم المختصة « يعتمد على علم المصطلح الخاص الذي يعنى بالمصطلحات العلمية في التخصص الواحد وما لها من سمات وقضايا »⁷.

وقد عرف العرب القدامى ما يشبه هذا النوع من التأليف في شكل رسائل لغوية في البداية، وكانت تختص كل رسالة بموضوع واحد من أمثلتها: الإبل، والغنم، والشاء، والخيّل للأصمعي (ت: 213 هـ)، الوحوش لقطرب (ت: 206 هـ). ومنها كذلك لغات القبائل لمجموعة من العلماء من أمثال: يونس بن حبيب (ت: 182 هـ) أبو زيد الأنصاري (ت: 215 هـ)، الأصمعي (ت: 213 هـ)، الفراء (ت: 208 هـ).

ومنها كذلك كتب النوادر، وكتب غريب القرآن، وبعد التأليف في الغريب أول ما ظهر في فنون التأليف اللغوي وذلك أنّه نسب لابن عباس (ت: 68 هـ) كتاب في هذا الموضوع⁸. وكان التأليف يظهر بعنوان "غريب القرآن" أو "معاني القرآن"، كمعاني القرآن للأخفش (ت: 211 هـ) أو الفراء (ت: 208 هـ)، وعُدّت جميعها نوعاً من التفسير اللغوي للقرآن الكريم بل مفتاحه الأول.

أما كتب الغريب أي (غريب القرآن وغريب الحديث) فهي التي كانت تُعنى بالمفردات الغامضة وذلك بشرحها في مختلف سياقاتها، و بيان اشتقاقاتها، مع الاستشهاد لمعانيها باستعمالات العرب شعراً أو نثراً.

وجدير بنا هنا أن نقف عند مفهوم "الغريب" فقد جاء في لسان العرب في مادة "غ ر ب": « الغريب هو الغامض من الكلام وورد كذلك: إنّما هو الغامض البعيد من الفهم »⁹. وقد عزا بعضهم الغرابة إلى قلة الاستعمال أو الدقة في المعنى¹⁰.

ولعل الدقة في المعنى هي التي جعلت العلماء العرب الأوائل يولون أهمية خاصة لاستعمال تلك المفردات الغامضة في القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف.

وبناءً على هذا يُعد "معجم مفردات القرآن" للراغب الأصفهاني معجماً مختصاً بكل المقاييس. وهذا ما سنبينه في مدى توافر "معجم مفردات القرآن" على أسس المعجم المختص، وهذه ليست مطابقة كتاب قديم على أسس حديثة ولا محاكاة له، وإنّما هي مقارنة علمية في نقاط التشابه في العمل بتقريب القديم إلى الحديث.

3. معجم مفردات ألفاظ القرآن وأسس المعجم المختص

يمثل "معجم مفردات القرآن" في منهجه نضجاً علمياً واضحاً في تناول مفردات اللغة الخاصة في استعمالات القرآن الكريم، فهو يهتم بنوع خاص من اللغة (مفردات القرآن)، وهذه سمة من أهم سمات المعجم المختص، لأنّ شأن المعاجم المختصة أنّها تهتم بنوع خاص من اللغة - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - "فالراغب الأصفهاني" تناول ألفاظ القرآن بالشرح في جميع السياقات التي وردت فيها في النص القرآني، والبحث والتصنيف في التعبيرات السياقية من اختصاص المعجم المختص كذلك.

وما يثبت النضج العلمي والعقلي فيه كذلك أنّ الراغب الأصفهاني في تقديمه للكتاب يبنّ منهجه فيه وإن كان مختصراً، كما ذكر الهدف المرجو منه، ويبنّ قيمته وأهميته العلمية، ومنها كذلك إشارته إلى مصادر كتابه، وهذا يتوافق مع أسس المعجمية المختصة التطبيقية، التي موضوعها « البحث في المصطلحات من حيث مناهج تقسيمها وتجميعها، سواء أكان ذلك بتأليف المعاجم العلمية والفنية المختصة المدونة، أم بالتخزين في الحواسيب جمعا ووضعاً »¹¹.

ومما يدل على وضوح التصور العلمي التطبيقي للعمل المعجمي المتخصص عند (الراغب) أنّه أشار في تقديمه إلى أنّه سيُتبع هذا الكتاب بكتاب آخر في المترادفات، يقول: « ... وأُتبع هذا الكتاب إن شاء الله ونسأ في الأجل بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق »¹².

كما أنّ أي عمل معجمي لا بد أن يقوم فيه التأليف على ركنين أساسيين: الأول: الجمع وهو ما يُعبّر عنه بتكوين المدونة المعجمية، والثاني: الوضع ويُقصد به معالجة المداخل التي يشتمل عليها المعجم، وعليه فالمعجم مهما تكن صفته - عاماً أو متخصصاً - لا بد أن يبدأ فيه بجمع المادة من مصادر معينة ومحددة، ثم تُرتب المادة بكيفية معينة كذلك¹³.

قد قرّرنا سابقا أنّ الراغب الأصفهاني أشار إلى مصادر كتابه، وذكر كيفية بناء كتابه، وسنبيّن ذلك لاحقا. وللتعريف في المعجم خصيصة تمييزية بين معجم وآخر، إضافة إلى الأهداف المقصودة من كل معجم.

1.3. أهمية المعجم وقيّمته

لقد ربط الراغب الأصفهاني أهمية كتابه بأهمية موضوعه، الذي يتناول فيه شرح مفردات القرآن، الذي يندرج تحت العلوم اللفظية، والتي لا غنى عنها لمن اشتغل بدراسة القرآن الكريم، يقول في مقدمة الكتاب: « أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللّين في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه »¹⁴.

ولم يقصر نفع العلوم اللفظية على علوم القرآن فحسب، بل في كل علم من علوم الشرع وفنون الأدب، يقول: « بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم، وإليها مفعز حدّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم »¹⁵.

2.3. منهجه

من المتعارف عليه عند الدراسين، أنّ أي منهج لأيّ كتاب إنّما يؤخذ من طريقتين: أحدهما: أن يصحّح به صاحبه في مقدمته فيكفي الباحثين عناء البحث عنه واستنباطه، والثاني: أن يُستخرج من استقراء وتتبّع عمل المؤلف في الكتاب. والراغب الأصفهاني ذكر منهجه في ترتيب المادة العلمية، إلّا أنّه أوجز في ذلك، يقول: « وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن، على حروف التهجّي، فنقدم ما أوله الألف، ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد، والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها، والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب »¹⁶.

فقد رتبّ الراغب الأصفهاني المادة في معجمه هذا ترتيبا ألفبائيا في تبويبه، أمّا في ترتيب المفردات فاعتمد على الأصلي دون الزائد (أي تجريد الكلمات في المداخل)، حيث بدأ بفاء الفعل ثم عينه، ثم لامه، فبدأ مثلا في باب الألف (أب، أبد، أبق، إبل، أبا، أتى، أث، أثر ...)؛ وفي باب الباء (بأر، بأس، بتر، بتك، بتل، بثّ، بجس ...). فالراغب كان سبّاقا لهذا النوع من الترتيب، الذي مازالت تعتمد المعاجم إلى اليوم.

3.3. شرح المفردات في المعجم

كانت طريقته في شرح المفردات أن يذكر المعنى اللغوي أولاً، أي وضع الكلمة في اللغة، ثم يذكر المعاني التي تؤيدها الكلمة حسب استعمالها في الآية، ففي شرحه لفظ " بدا " مثلا يقول: « بدا الشيء بدوا وبداء أي ظهر ظهورا بيّنا، قال الله تعالى: □ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهٖ يَسْتَهْزِءُونَ □ [سورة الزمر، الآية: 47، 48]، □ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تُهْمَا □ [سورة طه،

الآية: 121] ، والبدو خلاف الحضر، قال الله تعالى: □ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ □ [سورة يوسف، الآية: 100] ، أي البادية، وهي كل مكان يبدو ما يعنّ فيه أي يعرض، ويقال للمقيم بالبادية باد، كقوله تعالى: □ سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ □ [سورة الحج، الآية: 25] ، □ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ □ [سورة الأحزاب، الآية: 20] ¹⁷. يظهر من خلال هذا المثال طريقة شرحه للمفردات، فبعد أن ذكر المعنى الأصلي أي في وضع اللغة، يأتي ذكر معناها في الآية، ويكون استشهاده أولاً من القرآن الكريم، وإذا وردت تلك المفردة في سياق آخر في آية أخرى سواء كانت بذات المعنى أو بمعنى آخر يورد كل ذلك تباعاً.

وأشهر أنواع التعاريف التي كان يستعملها هو تعريف المفردة بمفردة، أو ما يُسمّى (التعريف بالمترادف)، كما أنّه يستعمل التعريف بالضد أو المقابل، بقوله - كما سبق في المثال - (البدو خلاف الحضر)، (البر خلاف البحر). وكان يذكر كذلك ما يستعار له اللفظ مثل: (التبذير)، يقول في مادة "بذر" «التبذير التفريق، وأصله إلقاء البذر وطرحه، فاستعير لكل مضيع لماله، فتبذير البذر تضییع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه، قال تعالى: □ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَنَ الشَّيْطَانِ □ [سورة الإسراء، الآية: 27]، وقال تعالى: □ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا □ [سورة الإسراء، الآية: 26] ¹⁸.

وكان يتوقف عند المعنى الاصطلاحي والشرعي للمفردة بعد إيراد المعنى اللغوي لها، إذا كان لها ذلك، كما في شرحه لمفردة "التوبة" قال: «التوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعادة، وتدارك ما أمكنه أن يدرك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة» ¹⁹. وكذلك في لفظ "حجّ"، قال: «خُصَّ في تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامة للنُّسك» ²⁰. وفي لفظ "الصوم"، يقول: «الصوم في الشرع إمساك المكلف بالنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن تناول الأطيبين والاستمناء والاستقاء» ²¹، وهكذا في تعامله مع المفردة ذات الدلالة الشرعية الخاصة.

إضافة إلى ذلك كانت له عناية بالقراءات القرآنية، فلا يكتفي بالقراءة الواحدة، وإنّما يتعدها إلى غيرها من القراءات الثابتة، ومثاله: «و القَدَرُ وقت الشيء المقدّر له، والمكان المقدّر، قال: □ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ □ [سورة المرسلات، الآية: 22]، وقال: □ فَسَأَلْتُ أَوْدِيَّةً بِقَدَرِهَا □ [سورة الرعد، الآية: 17]، أي بقدر المكان المقدّر لها لأن يسعها، وقُريء "بِقَدَرِهَا" أي تقديرها، وقوله: □ وَغَدَوُا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ □ [سورة القلم، الآية: 25]، قاصدين أي معيّنين لوقتٍ قَدَرُوهُ ... و"قَدَرْتُ عليه الشيء ضيّقته" كأنّما جعلته بقَدَرٍ بخلاف ما وصفه بغير حساب، قال: □ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ □ [سورة الطلاق، الآية: 07]، أي ضيّق عليه، وقال: □ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ □ [سورة الرعد، الآية: 26] وقال: □ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ □ [سورة الأنبياء، الآية: 87]، أي لن نضيّق عليه وقريء "لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" ²².

فظاهر أنّه بتعدد القراءات تتعدد المعاني وتتنوّع، فكان حكيماً إذ ذكر القراءات، لأنّ تعدد القراءات يكون له زيادة في توسيع المعاني أحياناً كثيرة.

4.3. مصادره واستشهاداته

يظهر من تصفح المعجم وقراءته أنّ مصادر مادته بالأساس اللغة العربية، ولأنّ الكتاب كان همّه شرح مفردات القرآن فإنّ مرجعه الأول هو القرآن الكريم، ثم الحديث النبوي الشريف، وما ورد من كلام العرب شعراً، لأنّه كما قيل الشعر ديوان العرب، كما كان ينقل أقوال الصحابة رضوان الله عليهم وكلام التابعين. أمّا استشهاداه بالقرآن الكريم فلا يخلو شرح مفردة من الاستشهاد بآية أو أكثر، وأمّا الحديث النبوي الشريف فكان الاستشهاد به حسب الحاجة، ومن أمثلة ذلك شرحه للفظ "الحكمة" في مادة "ح ك م"، حيث نقل قوله صلى الله عليه وسلم « إنّ من الشعر لحكمة »²³، أي قضية صادقة²⁴. وفي حديثه عن " الدهر " من مادة " د ه ر " نقل قوله صلى الله عليه وسلم « ولا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر »²⁵. كما نقل في مادة " دور " قوله " مثل الجليس الصالح كمثل الدّاري " ويقال للآزم الدار داري²⁶.

وأمّا استشهاداه بالشعر فبرز بشكل قوي، لكن من غير أن ينسب الأبيات لأصحابها غالباً، فكان يقول "قال الشاعر"²⁷، وأحياناً ينسب الأبيات ومن أمثلتها: نحو قول النابغة، نحو قول الأعشى، الحطيئة، حاتم الطائي الخ²⁸.

4. ملاحظات على المعجم

لا يخلو أيّ عمل من هفوات، ولكن ما يسجله الباحث أو الدارس من ملاحظات على أيّ عمل، لا يعني الخطّ من قيمته، وما هذه الملاحظات المسجّلة على كتاب " معجم مفردات ألفاظ القرآن " للراغب الأصفهاني إلّا محاولة لتقويم العمل وتعميم الفائدة واستخلاص الدروس، وهذه الملاحظات ملخصة كالآتي:

- اخلط المؤلف بين الألف والهمزة في تقديمه لحرف الألف، فالهمزة من قولنا: أسمع وأبصر، جعلها ألف المخبر عن نفسه وهمزة " أنزل " ألف الأمر والأعرب أنّه يقول ألف الأمر قطعاً أو وصلاً كما في الأولى قطعاً وفي □ أبّن لي عندك بيّناً في الجنّة □ [سورة التحريم، الآية: 11]، والمتعارف عليه عند اللغويين والنحاة أنّها همزة، ويقال همزة الوصل أو القطع، فهذه عنده ألف كما أنّ التي تأتي في وسط الكلمة ألف، كالف التثنية " هذان " وبعض المجموع في نحو مسلمات، وظاهر ما في هذا من خلط، وهمزة التعدية يسميها ألف التعدية²⁹.

- حديثه عن معاني الحروف في مطلع كل حرف كما فعل في باب (الباء)، فبصرف النظر عن نقد ما جاء به من جهة النحو، فهذا يمكن الاستغناء عنه لأنّ المعجم مختص بالمفردات وليس بمعاني الحروف التي يمكن أن يخصص لها معجماً آخر كما أنّه قد خرج من ذكر المعاني إلى مناقشة أصالة الباء وزيادتها³⁰.

- اختلافه عن المعاجم الحديثة في ترتيب الثلاثي المضَعَّف، مثلاً وضع " برّ "، قبل، " برأ " متغاضياً عن كون المضَعَّف حرفان أولهما ساكن والثاني متحرك، وإن كان الأمر بسيطاً يُتعود عليه.
 - كان قليلاً ما يسند الأقوال إلى أصحابها، كما أنّه لم يذكر سلسلة السند في الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين، وفي هذه في الحقيقة تعليق، فلربّما لم يشأ أن يُثقل الكتاب بالسند، فيخرج عن كونه معجماً لمفردات القرآن الكريم، ويصير كتاباً عاماً كسائر الكتب قبله. وهذه وإن كانت منقصة عند بعضهم إلّا أننا نراها من صميم العمل المعجمي المتخصص، أمّا تخريج الحديث فاللّوم يقع على المحققين لا على المؤلف لأن تخريج الأحاديث يكون في حاشية الكتاب وذلك لا يؤثر على العمل المعجمي.
- خاتمة:

تتجلى أهمية الكتاب وقيّمته في طريقة ترتيبه الألفبائي - فاء الفعل ثم عينه ثم لامه - وقد اهتدى الراغب الأصفهاني إلى هذه الطريقة، في نهاية القرن الخامس للهجرة وبداية السادس، أيّ في وقت مبكر جداً، وهي الطريقة المعتمدة حالياً، فهذا سبق علمي كبير، وهذه طريقة تسهّل على القارئ البحث عن مفردات الألفاظ القرآنية، ومعرفة معانيها في سياقاتها المختلفة بيسر وسهولة، فقد اهتدى كذلك إلى مفاتيح النص القرآني وهي مفرداته، التي لا غنى عنها لمن اشتغل بكتاب الله عز وجل.

إذن فمعجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني معجم مختص، رغم ما عليه من ملاحظات، وذلك بالنظر إلى هدفه، وهو الوقوف على معاني مفردات القرآن الكريم، بيسر وسهولة، وتجلّى ذلك من خلال منهج معجمي، يتوافق مع منهج التأليف المعجمي المتخصص في كثير من ملامحه.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01 (1999م).
2. _____، أسس المعجم المتخصص اللسانية، الجمعية المعجمية بتونس.
3. الإسفراييني (أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، ت: 316هـ)، المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم، تحقيق: رسائل جامعية وبحوث أكاديمية بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: 01 (ج 17 - 1435هـ / 2014 م).
4. ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ت: 711هـ)، لسان العرب، طبعة بولاق، (1300هـ).
5. الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (209 - 279 هـ)، الجامع الكبير " سنن الترمذي "، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط (جميع الأجزاء)، عبد اللطيف حرز الله (ج 1)، أحمد برهوم (ج 2)، محمد كامل قرّة بللي (ج 3)، هيثم عبد الغفور (ج 4)، جمال عبد اللطيف (ج 5)، سعيد اللحام (ج 6)، دار الرسالة العالمية، ط: 01 (1430هـ / 2009م).
6. جاسب فالج الربيعي، الدلالة المجمعية في غريب الحديث والأثر (1985 / 1986م)، مطابع الثورة العربية طرابلس.
7. الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرناؤوط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي (ج 3، 8، 10، 17، 18، 20)، مؤسسة الرسالة، ط: 03 (1405هـ / 1985م).
8. الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني الملقّب بالراغب)، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط: 01 (1426 - 1427 هـ / 2006 م).

9. الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ت: 1396 هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 15 (2002م).
10. عبد المجيد الحر، المعجمات والمعاجم العربية، نشأتها، أنواعها، نهجها وتطورها، دار الفكر، بيروت، ط: 01 (1999م).
11. الفيروز آبادي (أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروزآبادي، ت: 817 هـ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 01 (1421 هـ / 2000م).
12. محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: 01 (1400 هـ / 1980م).
13. محمود فهدى حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، (د ط، د ت).

الهوامش

- ¹. قسم اللغة والادب العربي، كلية الآداب واللغات - جامعة يحي فارس بالمدينة / Saadoudi2005@gmail.com
- ². الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: 748 هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرنؤوط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي (ج 3، 8، 10، 17، 18، 20)، مؤسسة الرسالة، ط: 03 (1405 هـ / 1985م)، ج 18/ 121. وينظر: الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني الملقب بالراغب)، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط: 01 (1426 - 1427 هـ / 2006م)، ص: 05.
- ³. الفيروز آبادي (أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروزآبادي، ت: 817 هـ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 01 (1421 هـ / 2000م)، ص: 122.
- ⁴. الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ت: 1396 هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 15 (2002م)، 2/ 255.
- ⁵. عبد المجيد الحر، المعجمات والمعاجم العربية، نشأتها، أنواعها، نهجها وتطورها، دار الفكر، بيروت، ط: 01 (1999م)، ص: 132.
- ⁶. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب ط: 01 (1418 هـ / 1998م)، ص: 39، 40.
- ⁷. محمود فهدى حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، (د ط، د ت)، ص: 20.
- ⁸. محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: 01 (1400 هـ / 1980م)، ص: 146.
- ⁹. ابن منظور (لسان العرب)، دار صادر، بيروت، مادة "غ رب".
- ¹⁰. جاسب فالح الربيعي، الدلالة المعجمية في غريب الحديث والأثر (1985/1986م)، مطابع الثورة العربية، طرابلس، ص: 11.
- ¹¹. إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01 (1997)، ص: 101، 102.
- ¹². الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل)، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط: 01 (1426-1427 هـ / 2006م)، ص: 08.
- ¹³. إبراهيم بن مراد، أسس المعجم المختص اللسانية، الجمعية المعجمية بتونس، (د ط، د ت)، ص: 01.
- ¹⁴. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 08.
- ¹⁵. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 08.
- ¹⁶. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 08 - 10.
- ¹⁷. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 35.
- ¹⁸. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 35.
- ¹⁹. المصدر نفسه، ص: 60.
- ²⁰. المصدر نفسه، ص: 83.

²¹. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 218.

²². الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 298.

²³. الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (209 - 279 هـ)، الجامع الكبير " سنن الترمذي "، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط (جميع الأجزاء)، عبد اللطيف حرز الله (ج1)، أحمد برهوم (ج2)، محمد كامل قرّة بللي (ج3)، هيثم عبد الغفور (ج4)، جمال عبد اللطيف (ج5)، سعيد اللحام (ج6)، دار الرسالة العالمية، ط: 01 (1430 هـ / 2009 م)، باب ما جاء من الشعر حكمة، 118/5.

²⁴. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 98.

²⁵. الإسفراييني (أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، ت: 316 هـ)، المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم، تحقيق: رسائل جامعية وبحوث أكاديمية بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: 01 (ج 17 - 1435 هـ / 2014 م)، 203/17.

²⁶. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 132.

²⁷. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر، ص: 10 (مرتين)، ص: 12، ص: 13 (مرتين)، ص: 16، ص: 19 (مرتين)، ص: 23 (مرتين)، ص: 27 (ثلاث مرات).

²⁸. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ينظر على الترتيب الصفحات: 14، 21، 26، 28، على سبيل التمثيل لا الحصر.

²⁹. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 31.

³⁰. الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 06.